الحلقة العشرون

(1) (قصرعلي باشا.. مراد.. شهربان.. الأولاد على مائدة الغذاء.. يدخل علي باشا)

علي باشا: (مقطبا منفعلا) تم اغتيال عبد العزيز! واستلم الحكم العثمانيون الجدد.. فتحت السجون أبوابها، وأصبح السجناء حكاما بيدهم مقاليد الأمور.. وسجّانوهم معتقلون.. قضاة الأمس صاروا مجرمي اليوم، والعبيد سادة والسادة عبيد.. المصلحون نزلوا عن منابرهم، واعتلى المنابر الحمقى والمجانين.. أما الذي يقف بين بين فهو مراقب ومشبوه ومطرود.. خرج مدحت باشا من المعتقل ليصبح رئيس الوزراء وأقرالدستور، واعتلى العرش سلطان جديد ماهو الاّ كرة في أيدي المتطرفين!

مراد: (الى شهربان) أيام سوداء ستمر بنا يا شهربان.. لا أعرف كيف يصنفونني.. أخلص من سجن حلب لأرمى في سجن استنبول، وان دعيت الى حرب أخوضها بإمرة متطرفين يضعون الدولة على كف عفريت..

علي باشا: ليس لنا الاّ أن نقوم بواجبنا تجاه أمتنا كعسكريين.. مات عبد العزيز أعمى لا يدري بما يحوكه في قصره المتآمرون، ولكن يشهد الله، أنه مات على ايمان بالأهداف العليا للجامعة الإسلامية تجاه مؤامرات القوى الإستعمارية الغربية..

(2) (بيروت.. مركز جريدة لسان الحال.. الشيخ يوسف الأسير.. علي باشا يحدثه كيف رفع الى رتبة مشير، وعين نائبا للقائد العام للجيش التركي في سوريا وفلسطين (الفيلق الرابع) لشؤون الإمداد، ومركز عمله في بيروت، ومسكنه في ميناء الحصن)

علي باشا: كم أنا شاكر لك تعزيتي بوفاة زوجتي شمس الدنيا، كيف علمت بالأمر على بعد الزمن منذ فارقتنا، عشرة أعوام أو أكثر!؟

الأسير: من الجوائب حيث لا أزال أكتب فيها أشعاري ويرسلها لي خالد في البريد..

علي باشا: أهو خالد الذي باركنا خطوبته لابنتك فريدة رحمها الله؟

الأسير: هو نفسه.. جاء معي الى بيروت وعقد عليها رغم رفضي ذلك، لأنني كنت أشعر بأنني أزفها للقبر، وما كنت أريد أن أظلمه.. لقد فجعتني بموتها وهي في صباها ولا يزال جرح فقدها طريا في قلبي حتى اليوم..

علي باشا: انه لم يتزوج حتى اليوم.. انه شاب قل مثل حبه ووفائه وذكائه وموهبته.. لقد استعنت به لتدريس اللغة العربية عندي في الكلية العسكرية وكان مدرسا ناجحا، وطلبت منه منذ عهد قصير تعليم أولاد شهربان اللغة العربية..

الأسير: من تزوجت الفارسة الجميلة شهربان؟

علي باشا: الأميرمراد ابن عم بهجت وجواد ولدي خالة شهربان.. كلاهما كانا الرجلين اللذين كانت زوجتي تريد أن تزوج شهربان الى أحدهما فكان النصيب أن يتزوج أحدهما ألمانية والثاني أن يموت في نزلة صدرية في أحد سجون عبد العزيز..

الأسير: ما هذا الذي يجري عندكم في استنبول بعد اغتيال السلطان عبد العزيز؟ وما هذا الدستور الذي يتحدث عنه العثمانيون الجدد؟ انهم يقولون بأن التركية تعتبر اللغة الرسمية في جميع الولايات والإسلام دين الدولة.. وأنها تعترف بجميع رعايا السلطان بغض النظر عن لغاتهم وأديانهم المختلفة "كعثمانيين" يتمتعون بحقوق والتزامات متساوية.. وهذا يعني أن الأقليات الدينية عليها أن تخوض حروب الدولة العلية.. اليوم يجند في لبنان وسوريا المسيحي واليهودي والأرمني الى جانب المسلم وهذا لا يعجب تلك الفئات، وتجد قناصل الدول الغربية وعلى رأسها الروس والإنجليز والفرنسيين المجال رحبا لتتدخل في شؤون هذه البلاد، التي تكثر فيها الطوائف وانشقاقاتها.. ان إبني محمود يخوض هذه الحرب اللعينة مع الروس، ومعه رفاق له من مختلف الطوائف الذين لا قدرة لذويهم على دفع البدل الباهظ، أما إبني محمد فقد بقي في مصر بعد أن أصبح طبيبا وتزوج ممرضة مصرية.. وهو يريد أن يسحب حسن الى مصر بعد أن ينهي المدرسة الثانوية..

(3) (علي باشا في قصره في ميناء الحصن في بيروت.. تصله رسالة من شهربان)

والدي العزيز،

لقد صدر الأمربتعيين مراد قائدا للمدفعية، وأرسل الى الجبهة الروسية حيث احتل جيشه القرم وأجزاء أخرى من الإمبرطورية الروسية.. وابراهيم أصبح معاونا لمدحت باشا.. أما بهجت فقد عينه السلطان مراد الخامس واليا في طرابلس الغرب، ولكن أنجة رفضت السفر معه، فجاءت خالتي عندي لتعتني بعلي الذي يزداد ولعها به يوما بعد يوم.. أمارس رياضتي وأشرف على تدريب عثمان ومصطفى بنفسي.. خالد لا يزال يعطي الأولاد دروس العربية وسليمان يبقى في

القصر يرافق البستاني الذي يعلمه العناية بالأزهار وتفريعها، ويسألني دائما متى يعود بابا؟

(4) (مقر لسان الحال.. الأسير وعلي باشا)

علي باشا: وصلتني رسالة من شهربان تعلمني بأن زوجها الأمير مراد عين قائدا للمدفعية وأرسل الى الجبهة الروسية، فهل تنصحني في أن تبقى حيث هي، أو آتي بها وبأولادها الى بيروت؟

الأسير: كم لها من الأولاد؟

علي باشا: أربعة الأكبر عثمان في التاسعة والثاني مصطفى في السابعة والثالث سليمان في الخامسة والصغير علي ستة أشهر..

الأسير: لا أنصحك أن تأتي بها وبأولادها الى بيروت قبل أن تنتهي الحرب التركية الروسية.. لأن نتائجها ستكون وبالا على الإمبراطورية العثمانية، ان لم ينتصر فيها الأتراك.. وخصوصا في الولايات حيث تشتد الفتن ويطرد منها الأتراك وتستقل كل ولاية فيها تحت مظلة أحد أقطاب المستعمرين..

(5) (علي باشا في قصره في بيروت .. تصله رسالة أخرى من شهربان)

(6) والدي العزيز،

أكتب اليك ودمعي يجري غزيرا على وجنتي.. جاء ابراهيم وأخبرني عن مقتل زوجي في المعركة.. أكاد أجن ولا أعرف ماذا أفعل في هذه المصيبة التي قصمت ظهري.. أم مراد وشقيقاته البنات يزرنني ويعزينني، فلا أكاد أخلع السواد على أمي حتى أعود وأرتديه على زوجي الذي أحببته أكثر مما أحببت نفسي.. أم بهجت تستقبل ابنها ابراهيم في منزلي بالترحاب، وكأنها تنوي أن تزوجني اياه بعد فشلها في تزويجي الى بهجت وجواد، وهذا لا يروقني.. لو لم يبق في الدنيا الاّ رجل واحد هو ابراهيم لما تزوجته لأنه خبيث متآمر، وفي ظني أنه كان وراء ارسال مراد الى هذه المعركة الخاسرة حتى لا يعود أبدا منها.. تعال الي يا أبي وأنقذني مما أنا فيه.. انني لا أريد الزواج بأحد، بل أن أكرّس عمري لأبناء مراد فهم أسرتي وخلودي في هذه الحياة..

* * *